تجربة رائدة في إعداد المعماريين بمجال الحفاظ على المباني والمواقع الأثرية

د. سوسن الطوخي*

- **تمهيد**

إن ترميم وصيانة الآثار تعتبر واحدة من أهم تحديات مشاكل هذا العصر نظرا للنشاط السكانى المتنامى بشكل مضطرب من حول هذه الآثار الأمر الذى أدى إلى فقدان العديد من الآثار التى تمثل حلقات هامة فى منظومة التاريخ المصرى.

فالمبنى الأثرى كيان شامل يعكس المفهوم العام للفكر المعمارى فى عصره وزمانه . هو كيان يضم قيم تشكيلية ووظيفية يحوى كثيرا من المظاهر الحضارية لعصره وبيئته التى نشأ فيها ومن البديهى أن التعامل مع عمل معمارى سابق يكون فى إطار فلسفة ذلك العمل ومحدداته بحيث لا يغيرها أو يحورها أو بمعنى أدق لا يشوه تلك الفلسفة أو يزيفها ، وبذلك فإن الترميم المعمارى للمبانى الأثرية ما هو إلا أحد أوجه العمل المعمارى الذى تنطبق عليه قواعد وأسس العمارة ولكن بإسلوب خاص.

إيمانا بالدور الرائد للدولة والطفرة التى تحدثها وزارة التعليم العالى والبحث العلمى فى حل المشاكل البيئية التى يتعرض لها تراثنا القومى خاصة التراث المعمارى الذى يلعب دورا بارزا فى مسيرة الشعوب وتحديد هويتهم الثقافية والحضارية .

وإيمانا بالدور الملقى على وزارة التعليم العالى فى سد احتياجات السوق المصرية والعربية من الكوادر ذات التخصصات النادرة الرفيعة المستوى فى تخصص الترميم المعمارى للمبانى الأثرية والتاريخية فقد بادر المعهد العالى للهندسة المعمارية وتكنولوجيا إدارة الأعمال بمدينة السادس من أكتوبر بإنشاء شعبة لدراسة علوم الترميم الهندسى للتراث المعمارى من ترميم إنشائى ومعمارى لتكون له الريادة فى هذا التخصص النادر على مستوى جمهورية مصر العربية ومنطقة الشرق الأوسط باكملها.

- **الهدف من إنشاء الشعبة**

من نعم الخالق علينا أن ميز مصر بتراث وحضارة عريقة ووهبها مقومات طبيعية وثقافية أفرزت تراث وحضارة عريقة تجسدت فى ثروة قومية تمثل أكثر من ثلث أثار العالم ينبغى أن نحافظ عليها كى تستمر شاهدا على عظمة التاريخ ومع زيادة الاهتمام بتراثنا القومى واثارنا العريقة ظهرت الحاجة الماسة لمتخصصين فى مجال الحفاظ على التراث وترميم الأثار لهم خلفية علمية وقدرة فعلية للتعامل بحساسية مع كنوزنا المعمارية شعبة من شعب العمارة حديثة على مصر والشرق الأوسط وهى شعبة الحفاظ على التراث وترميم الأثار وتهدف هذه الشعبة إلى اعداد جيل من المهندسين ذات القيمة

* رئيس مجلس إدارة المعهد العالي للهندسة المعمارية وتكنولوجيا إدارة الأعمال

الأثرية على اختلاف أنواعها ومقاييسها والربط بين التخطيط للحفاظ على التراث وتلبية احتياجات التنمية المتواصلة للمجتمع ومن ثم يشمل البرنامج الأكاديمى للشعبة مواد تصميمية تتعامل مع المواقع الأثرية بما يتوافق ومبادئ الحفاظ عليها والارتقاء بمحيطها وكذلك كيفية التوظيف الملائم للمبانى الأثرية ويشمل كذلك مواد خاصة بالتوثيق والرفع المعمارى ومواد خاصة بتقنية علمية الترميم والخلفية التاريخية للمبانى والمواقع الأثرية.

- **المناهج والمواد الدراسية**

تشمل الدراسة على خمسة سنوات دراسية يحصل الطالب بعد اجتيازها بنجاح على درجة البكالوريوس في الهندسة المعمارية ونظام التعليم المتبع هو نظام الفصل الدراسي .

وبيتم التخصص في سنتين دراسيين في شعبة هندسة الترميم والحفاظ على المباني الأثرية والمواد الدراسية كالآتي:

الفرقة الثالثة شعبة هندسة الترميم والحفاظ على المبانى الأثرية

الفصل الدراسى الأول

- التصميم المعماري
- التخطيط العمراني والمناطق ذات القيمة التاريخية.
- مواد وكيماويات البناء.
- تصميمات تنفيذية وطرق رفع المباني الاثرية
- تخطيط وتصميم مواقع اسكان
- مقرر اخياري (مباني الاثرية – تاريخ الفنون – علاج وصيانة العناصر المعماريه)

الفصل الدراسي الثاني

- تصميم معماري
- ترميم وصيانة المباني الأثرية
- مواد وكيماويات البناء
- تصميمات تنفيذية وطرق رفع المباني الأثرية
- البيئة والمباني الأثرية
- مقرر اختياري (العمارة والتراث – الحفاظ الحضري والبيئي – تحكم بيئي)

الفرقة الرابعة شعبة هندسة الترميم والحفاظ على المبانى الأثرية:

- **الفصل الدراسى الأول**
- تصميم معماري
- تصميمات تنفيذية ورسومات التشغيل
- تصميم عمراني
- تنكيس وصلب المباني الأثرية
- قوانين وتشريعات البناء وممارسة المهنة

- مقرر اختياري (طرق توثيق المباني الأثرية – متحفيات وطرق عرض الأثار)

الفصل الدراسي الثاني:

- إعادة تأهيل المناطق ذات القيمة التاريخية
- تصميمات تنفيذية ورسومات التشغيل
- مشروع التخرج
- مقرر اختياري (التجديد والإرتقاء الحضري – الحفاظ الحضري والبيئي على المناطق ذات القيمة التاريخية)

- **استعراض نماذج من المشاريع والبحوث التطبيقية**
- **التنظيم والمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية**

قام المعهد بتنظيم بعدد خمسة مؤتمرات إثنان منهم على المستوى الدولي وثلاثة على المستوى العربي عقد أحدهم بمقر جامعة الدول العربية تحت رعاية معالي السيد / عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية.

وجدير بالذكر المؤتمرات التالية التي تفيد نقطة في مجال التراث والحفاظ عليهما وهي فيما يلي :

١- المؤتمر الإقليمي العربي إعادة الإعمار بالإمكانيات الذاتية للمناطق المدمرة المواد والموارد المحلية – الإمكانيات البشرية - جامعة الدول العربية القاهرة ١٨-١٩ أكتوبر ٢٠٠٣

٢- " مراحل من العمارة والعمران التاريخي بالقاهرة " ندوة معمارية القاهرة ٧ يونيو ٢٠٠٥ تنظيم المعهد العالي للهندسة المعمارية بالمشاركة مع هيئة المعماريين العرب

٣- أهمية المناطق التاريخية وانعكاساتها على التفاعل الاجتماعى مؤتمر الحفاظ المعماري بين النظرية والتطبيق دبي ١٤-١٦/ مارس ٢٠٠٤
د/سوسن الطوخى - أ.د / حسن وهبى (المعهد العالى للهندسة المعمارية وتكنولوجيا إدارة الأعمال)

- **استعراض لنموذج حي لكيفية تأهيل الطالب في شعبة الترميم والحفاظ**

مرفق رقم (١)

توصيات المؤتمر:

١-تحت مظلة جامعة الدول العربية وباشتراك كل من المعهد العالي للهندسة المعمارية و جامعة مصر للعلوم و التكنولوجيا و الشعبة المعمارية بنقابة المهندسين و هيئة المعماريين العرب تشكل لجنة دائمة مهمتها المشاركة في الإعمار تختص بتقديم المعاونة العلمية و الفنية الاستشارية في مجال الاختصاص كما يكون من ضمن أعمال اللجنة إنشاء قاعدة بيانات بالخبراء و المتخصصين في مجال إعادة الإعمار للاستفادة بهم ضمن فرق العمل التي سيتم تشكيلها .

٢-تتولى اللجنة الدائمة لإعادة العمار الإعلان كل ٦ شهور عما تم إنجازه من أعمال

خلال الفترة السابقة وعن قنوات الاتصال التي تم فتحها مع الجهات ذات العلاقة بالموضوع و الدعوة إلي عقد المزيد من المؤتمرات التكميلية في حالة الحاجة إلي ذلك للتوصل لمزيد من النتائج العلمية في مختلف المحاور .

٣- تنشئي الجهات المشاركة في المؤتمر موقع خاص علي شبكة الإنترنت تتضمن كل المستندات و المعلومات الفنية و العلمية الخاصة بالموضوع كنواة لمن يرغب في استكمال المسيرة ويتم من خلاله الدعوة لعقد الندوات و حلقات المناقشة استمرارا لفكرة وأهداف مؤتمر إعادة الإعمار .

٤- يلقي المؤتمر الضوء علي أهمية تشجيع إنتاج و إبداع مواد بناء محلية طبيعية و مخلقة متوافقة مع ظروف المجتمع المحلية و تتناسب مع فكر إعادة العمار و ذلك من خلال المعامل البحثية و الأعمال التطبيقية في المعاهد و الجامعات الأكاديمية و محاولة إيجاد حلول غير تقليدية توظف الإمكانات التكنولوجية الحديثة في حدود ما هو متاح من تمويل حكومي بالإضافة للمشاركة الوطنية .

٥-التوصية باستصدار تشريعات جديدة من خلال جامعه الدول العربية يكون من شأنها التأكيد علي إعادة الإعمار بالجهود الذاتية للمناطق المنكوبة وما يستتبع ذلك من قرارات لإنشاء صندوق تمويل عربي و توفير مناخ استثماري لجذب الاستثمارات السريعة من الدول العربية للمناطق المدمرة .

٦- التوصية بعمل كود عربي لأعادة العمار ينص علي مواصفات قياسية خاصة بالتكنولوجيا المتوافقة لاسترشاد به في حالة الاعتماد علي الجهود الذاتية كما يوصي بتدريسه في مراحل التعليم المعماري بالمعاهد و كليات الهندسة .

٧- يلقي المؤتمر الضوء علي أهمية اشتراك الطاقات البشرية المحلية في المناطق التي سيتم إعادة أعمارها مع ضرورة استرشاد بتجارب الوطن العربي في المجال و دراستها و تحليلها لتجنب سلبياتها مع تشجيع بيوت الخبرة الوطنية علي تبني الأسلوب العلمي و تطويعه في إطار الخلفية الثقافية و البيئة و الاقتصادية و أن يوضع في الاعتبار البعد الأمني و الدفاعي لمناطق إعادة الإعمار المتكررة التدمير و التلف مع توظيف مواد البناء المتاحة و دون إهدار للموارد الطبيعية و الاستعانة بالأنظمة البنائية الملائمة و تفعيل برامج و خطط إعادة العمار الملائمة التي عرضت في المؤتمر .

مرفق رقم (٢)

وقد خلصت الندوة لمجموعه من النتائج هى:-

٨-وجود أنفصال بين متخذي القرار والمهنين ويظهر ذلك في القصور الواضح في العمران .

٩-عدم الاهتمام بالتراث هو نتيجة لثقافة الشعب الذي رفض الحفاظ عليه وأن أستمرارية ظهور العشوائيات كحل بديل لذلك .

١٠-التلوث بجميع أنواعه قاسم مشترك علي مستوي المدن عالميا وعربيا .

١١-عند تناول قضايا العمارة والعمران يجب أن نتعامل معها كوحدة واحدة ولا نتلمس أجزائها منفصلة .
١٢-معظم مشاكل المدن العربية لانجد فيها أفكار المفكرين من المعماريين العرب للوصول الي الحلول السليمة التي تخدم كافة طبقات الشعوب العربية
١٣-ليس كل ما نراة في الغرب وامريكا يتناسب مع بيئتنا وثقافتنا وعاداتنا و تاريخنا العربي .

وقد خلصت الندوة لمجموعه من التوصيات هى :-

١-ضرورة التعامل مع المناطق التراثية بمفهوم واعي مدروس يحترم القيمة التراثية ويتعايش مع العصر وعند التعامل مع المناطق القائمة يجب الحفاظ على شخصيتها وهويتها مع التطوير .
٢-التاكيد علي أهمية التوازن بين الحفاظ علي المدن وعناصرها والاداء الوظيفي لها .
يجب ان يكون للقوانين قوة وأحترام للحفاظ علي المجتمع من نمو العشوائيات والحد من ظهورها وتفعيل جميع القوانين المعطلة.
٤-يجب توفير المناخ المناسب لكي يتمكن الفرد العادي من ان يشاهد التراث المعماري بعيدا عن الزحام والارض المتهالكة والارصفة المرتفعة والسلوكيات الخاطئة التي تشغلة عن الاستمتاع والنظر للتراث .
٥-أهمية تطوير التعليم المعماري ونشر الثقافة المعمارية لخلق الوعي عند المتلقي .
٦-ضرورة التعامل بجدية مع قضية تهميش دور المعماريين العرب داخل أوطانهم وسيطرة المصمم والمخطط الاجنبي علي اتخاذ قرارات تمس ثقافة وحضارة الشعوب العربية .
٧-يجب ان يكون هناك دور للنقابات المهنية وهيئة المعماريين العرب في مواجهة أي مخالفات معمارية وعمرانية علي مستوي المدن العربية و تبنى طرح هذة القضايا علي المسئولين وعمل دراسات ومعايير مهنية تهدف الى نبذ كل ما يفسد العمارة والعمران وجوب التغير والرجوع الي ركب التقدم الحضاري واللحاق بالثورة المعلوماتية والرقمية وتدارك الاخطاء التراكمية من خلال نقطة العودة لمسار تصميمي وتخطيطي واضح مع عدم الاستمرار في معالجة وتوفيق أوضاع قائمة لا تصل الي نتائج تتوافق مع المفاهيم والمستجدات العالمية .

مرفق رقم (٣)
التوصيات

١-إنشاء قاعدة معلومات ووضع قوانين ولوائح تنظيم عمليات الحفاظ ٠
٢-إعادة النظر في برامج التربية القومية والتعليم التي تتعلق الآثار لتطوير الوعي التاريخي.
٣- ربط ما في البيئة بمستقبلها في إطار نظرة متشابكة inter disciplinary تربط بين مكونات مادية للبيئة ومقوماتها المعنوية لمنع حدوث انفصام فكري وحضاري
٤-ملاءمة الفراغات في النسيج القديم مع النسيج العمراني الجديد –ملاءمة فراغية في تشكيل وحجم الفراغات بالقديم مع الجديد حتى نحصل علي خط أفقي مناسب.
٥-تصنيف مباني يتم لها توجيه استخدامات ثقافية لإمكانية انخفاض معدل التلفيات أو استخدامات تجارية وإدارية تبعا لما تحتاجه المخططات العمرانية ٠
٦- يعتمد نجاح الحفاظ علي أفراد المجتمع قاطني تلك المناطق - غرس الوعي والارتقاء بسلوكياتهم –تدعيم الروابط الاجتماعية والإدراك بأهمية هذة المناطق التي يعيشون فيها كمنطق محرك لتأكيد مشاركتهم ٠
٧-إعداد جيل من المرممين ولن ينائي ذلك إلا بتوحيد الجهود والتنسيق بين الجهات المعنية مما قد ينتج عنه إنشاء كلية أو أكاديمية ٠

وأخيرا ان إيقاع المواجهة الشاملة مع تلك المناطق يجب ان يمتد ليشمل تكثيف المفهوم الثقافي كضرورة للتكامل بين الأجيال المعاصرة وبين التراث لمواجهة مشكلات العصر اجتماعية واقتصادية بقدرات واعية تتوقف عليها الحركة الثقافية بما تحوي من التجارب مع نهضة ثقافية وفنية شاملة وعلي التجاوب مع دور الدولة ودور تفاعل المجتمع مع هذة المناطق والبحث عن الجذور والأعماق والذات القومية كما حدث في أوربا عصر النهضة في اليابان في الماضي. ان التحدي كبير لكن الأمل اكبر، لذا فإن نهضة مصر لن تتحقق حضاريا ولن تعطي ثمارها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا إلا بوضع هذا التراث فى ضمير أمتنا لتكون خير أمة أخرجت للناس.